بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 72 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:23\01\2024 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ذكرنا في البحث السابق أن هذا المقطع الجديد لا يخلو إما أن نلتزم بكونه قد نزل في مكة المكرمة وإما أن نلتزم بكونه كما هو ظاهر صدر السورة أن نلتزم بكونه من الآيات المدنية. ففيه خلاف، وأشرنا إلى هذا البحث في بداية السورة.

على تقدير الالتزام بالمدنية هناك وجه واضح للتساؤل عن الترابط السياقي؛ لأنه كلا المقطعين مدني. نقول يوجد وجه للبحث عن الترابط السياقي، لكن لا نلزم أنه لا بد من ترابط سياقي.

لنفترض نحن جالسين في مجلس، وتحدثنا في مسألة وانتهت، فنريد فتح موضوع جديد، فليس من الضروري دائماً حتى مع النزول في موضع واحد وفي زمان متقارب أن نقول لا بد من ترابط سياقي. لكن ما نقوله إن هناك مجال للبحث عن الترابط السياقي.

أما لو كان المقطع الذي نبحث عنه مكي، فحينئذ نبحث بحثاً آخر، المكي قبل المدني، هذا الترتيب ووضع هذا المقطع في هذه السورة بعد تلك الآيات المتقدمة هل هو من النبي الأعظم ﷺ، أي: هل هو إلهي بأمر من النبي ﷺ أو هو بشري أي: أن الذين جمعوا المصاحف هكذا فعلوا؟ المسألة فيها خلاف في علوم القرآن.

على التقدير الأول أنه إلهي بأمر من النبي الأعظم ﷺ أيضاً هناك مجال للبحث عن الترتيب السياقي والارتباط السياقي، دون ما لو كان بشرياً، كأن صحابي من الصحابة ارتأى أن يضعه هنا، وقد هو يكون رأى مناسبة وارتباط، أما هل هذا صحيح أو لا فيبتني على القول بحجية فعل الصحابي، وهذا ما لا نقول به.

الصحيح عندنا في إبداء الترابط السياقي بين المقطعين، هو أن المقطع السابق -كما عرفنا- يتحدث عن جماعة وصفهم بكونهم شاكرين وبكونهم من الأبرار، ووصف لهم جزاء كبيراً متنوعاً -والذي

استوعب وضع معظم السورة- هذا الجزاء العظيم المتنوع الذي فيه من الغرائب والعجائب ككون القارورة من فضة ومع ذلك يرى من خلالها، إلى ما تقدم مفصلاً بحثه.

هذا الذي تقدم -في الواقع- مظنة من قبل البعض للتهمة، ولعدم التصديق، ولوصف صاحبه بأنه ساحر أو كاهن أو ما شابه ذلك، يضاف إلى ذلك أن هذا المتقدم وإن كان عاماً لكن شأن نزوله هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فتصبح القضية أكثر، تصبح بحاجة هنا النبي أن يقول له ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] كما في آية البلاغ، فإن خوف النبي صلى الله عليه وآله هناك لم يكن خوفاً على نفسه، وإنما هو خوف على تكذيبه؛ لأن الناس لا يرتضون هذا الشيء، بعد أن كان أكثرهم من المشركين الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وقتل أمير المؤمنين عليه السلام آبائهم وأجدادهم دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله، فالخوف خوف من التكذيب.

فهنا ما تقدم مظنة لذلك، فجاءت الآية على وجه التأكيد، وجاء هذا المقطع في صدره ليقول لنا -بحسب صدر هذا المقطع المبارك- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً () فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ فهذه تماماً نظير ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2] فهذه النعم التي أعطيناها للأبرار، وانطباق الأبرار على هذه العصبة الطاهرة، هذا ليس فعلُ كاهن ولا ساحر، بل هو من رب العالمين، نحن نزلنا هذه الآيات المباركة عليك، وليس من عندك، وإن أرادوا أن يكذبوك فاصبر لحكم ربك ولقضائه وما يدبره لك ولأمتك، فيكون هناك تناسب كبير بين هذا المقطع وبين ما تقدم من الآيات السابقة.

هذا تمام الكلام في هذه المحطة التي ترتبط بالبحث السياقي.

نشرع في التفسير التفصيلي لهذا المقطع، ولهذه الآية الأولى منه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾

التأكيد هنا اتضح وجهه، التأكيد -كما ذكر في محله- قد يكون موجهاً إلى منكر بالفعل، ينكر قيام زيد فأقول له إن زيداً قائم. وأخرى يكون هناك شيء يصلح مظنة للإنكار، كما لو زيد دخل إلى المستشفى، والآن في غيبوبة، فأقول إن زيداً قائم؛ لأن هذا الحادث الذي حصل معه يكون مظنة لأن ينكروا بهذه السرعة القيام.

---

[1] المائدة: 67

[2] المائدة: 67

هنا كلا المعنيين يصدقان، خصوصاً إذا جعلنا هذا المقطع مكي؛ إذ في مكة أنكروا أن يكون هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى، ووصفوا النبي ﷺ والعياذ بالله بالكذب والسحر والكهانة وما شابه ذلك من الأوصاف، وفي الوقت نفسه ما تقدم على هذا المقطع هو مظنة لأن يتردد فيه أرباب القلوب الضعيفة، فجاءت الآية لتؤكد هذا الشيء ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾

البحث الآخر والأخير، وهو العمدة في هذه الآية، يرتبط بمفردة التنزيل.

في القرآن الكريم تارة استعمل الإنزال وأخرى استعمل التنزيل، مثلاً في سورة آل عمران ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[3] في القرآن قال نزّا، وفي التوراة والإنجيل قال أنزل، نزّل من التنزيل وأنزل من الإنزال.

إذاً من المباحث المهمة أن نقف عند مفردة التنزيل والإنزال للتفريق بينهما، كما لاحظنا في بعض الآيات يجتمع كل من التنزيل والإنزال، وفي بعض الأحيان يعبر عن القرآن بالتنزيل وفي بعض الأحيان يعبر عنه بالإنزال.

بل في الواقع الآيات التي استعملت فيها هاتين المفردتين مع مشتقاتهما تصل إلى مئتين وثلاث وتسعين آية، فلابد أن نبحث عن هذا بحثاً مفصلاً ضمن جهات وأبعاد:

البعد الأول: أقوال المفسرين، ما هو موقف المفسرين في التفريق بين هاتين المفردتين؟

يعتبر الزمخشري من أوائل من تناول هذا البحث، وذكر أن التنزيل يطلق على النزول التدريجي وأما فيطلق على النزول الدفعي، ولذا الآية في سورة آل عمران في جانب القرآن عبرت بالتنزيل؛ لأن القرآن نزل نجوماً في فترة ثلاثة وعشرين سنة، نزوله تدريجي. بينما التوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة، فعبرت الآية بالإنزال.

إذاً الزمخشري يرى أن الفرق بين التنزيل والإنزال مع اشتراكهما في أصل المادة، أن التنزيل لما ينزل تدريجاً على دفعات والإنزال لما ينزل دفعة واحدة.

---

[3] المائدة: 3

وأكثر من تأخر عن الزمخشري تبنى هذا القول، ولأجل ذلك يقول الفخر الرازي: "نزّل تدل على التفريق وأنزل تدل على الجمع". وهذا مأخوذ من كلام الزمخشري.

ومن هذا المنطلق في سورة البقرة ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآن﴾[4] شهر رمضان ? الذي أنزل فيه القرآن استعمل مفردة الإنزال لا مفردة التبزيل؛ لأنه في شهر رمضان القرآن نزل على النبي الأعظم ﷺ دفعة واحدة، أما هذه الدفعة الواحدة قرأه على الناس على مهل وبالتدريج ونجوماً، فلأن هذه الآية في سورة البقرة تتكلم عن نزول دفعي استعملت مفردة الإنزال.

وليس المقصود أنزل يعني أنزلت آية واحدة، وإلا ومن هنا يحل الإشكالية المشهورة، أن المبعث النبوي كان في شهر رجب، فقيل للنبي الأعظم ﷺ اقرأ، فكيف تقولون نزل القرآن في شهر رمضان؟

أحد الأجوبة التي يحل بها هذه الإشكالية، أنه في شهر رمضان أنزل دفعة واحدة، أما في غيره من الأشهر كانت كل آية تنزل بحسب مناسباتها، فلا تناقض ولا تهافت في البين.

ويمكن أن يشد أزر هذا القول الذي اختاره الزمخشري بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيهَا الْقِتال ...﴾[5] القول قول للذين آمنوا، والذين آمنوا طلبوا أن تنزل سورة في القتال، تنزل سورة في القتال كسائر السور، وسائر السور نزلت تدريجاً، فاستعملت مفردة التنزيل. فلما أريد أن يجابوا على هذا الطلب تم النظر إلى المجموع الذي يرتبط بالجهاد والقتال، فاستعملت المفردة التي تدل على النزول الدفعي لا التدريجي، فقال الآية الآنفة الذكر.

إذاً مثل هذه الآية تؤيد الفرق الذي ذكره الزمخشري.

هذا الرأي ناقشه العلامة الطباطبائي رحمه الله، وكذلك الفخر الرازي، فيأتي الحديث عن ذلك.

---

[4] البقرة: 185
[5] محمد: 20